

ميسوم بلقاسم .

جامعة محمد خيضر ببسكرة

العنوان الالكتروني : missoum.belkacem@yahoo.fr

من الكتابات التاريخية المعاصرة للثورة كتاب - الجزائر الثائرة - للفضيل الورثلاني أنموذجا .

ملخص:

نبرز من خلال دراستنا بعض المواضيع التي وردت في كتاب الجزائر الثائرة لما يحتويه الكتاب على مادة علمية أساسية للمؤرخ والتي تتمثل في الوثائق، هنا تكمن أهمية الكتاب الذي يعتبر من أهم الكتابات التاريخية المعاصرة للثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الكتابات التاريخية، الجزائر الثائرة، تآزمات الواقع، الفضيل الورثلاني

تمهيد :

قيل بأن الجزائريين يصنعون التاريخ ولا يكتبونه؛ ليس خوفاً من ذلك التاريخ ولكن كما أجاب عبد الحميد ابن باديس لما سئل عن عدم التأليف قائلاً: شغلني تأليف الرجال عن تأليف الكتب، ومع ذلك فالباحث فيما كتبه المثقفون الجزائريون أثناء الفترة الاستعمارية يجد مؤلفات كثيرة كتبت في أوقات مختلفة وفي ظروف شتى ووفق خطة معينة، ومن أولئك الكتّبة: مبارك الميلي⁽¹⁾، أحمد توفيق المدني⁽²⁾، وأبو يعلى الزواوي⁽³⁾، وعبد الرحمن الجيلالي⁽⁴⁾... فهؤلاء وآخرون* كتبوا في التاريخ، وأزخوا للجزائر منذ أقدم عصورها، ووظفوا أقلامهم لخدمة القضية الجزائرية، غوصاً في الماضي السحيق لتأكيد عمق الوجود الجزائري البعيد والرافض لأي دخيل.

أما بالنسبة لصاحب موضوعنا، الفضيل الورثلاني، فإن كتابه الذي صدر سنة 1956 ذو خصوصية. والواجب يفرض علينا أن نتأمل ونعيد الاعتبار لمثقفينا، بمعرفة السيرة الذاتية للمؤلف، وتحليل كتابه ووضعها في سياقها التاريخي.

التعريف بشخصية الفضيل الورثلاني :

عرّفه المرحوم يحي بوعزيز بقوله: "نشأ نشأة الصبا والحدائث، في أحضان الفطرة الطاهرة، وفي أحضان الجبال الشماء، فاكتسب من الأولى قوة الروح وصفاء العقيدة، والصلابة في الدين، ومن الثانية قوة الجسم ووثاقة التركيب وسلامة الحواس، ثم نشأ نشأة الشباب في أحضان جمعية العلماء، ففتح عينه على الميادين العامرة بأبطالها، وفتح أذنيه على الأصوات المجلجلة بالعلم والإصلاح، من دروس عامرة بحقائق التنزيل والحكم النبوية، ومحاضرات بليغة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي، تفيض بالبيان الساحر، وتتدفق بالبلاغة الرائعة، فنشأ مؤمناً متين العقيدة، حراً عميق الفكر، صريحاً لاذع الصراحة، جريء اللسان على كلمة الحق، شجاع الرأي إذا جمعت الآراء وتخافتت، غيوراً على وطنه غيرته على دينه، إذن فهو معدود من بواكير هذه النهضة المباركة في الجزائر، رافقها في جميع مراحلها، وشارك -على فتوته- الشيوخ المحنكين في بنائها".⁽⁵⁾

المولد والنشأة:

ولد في يوم 6 فبراير عام 1900م، في بني وثلان، ولاية سطيف، والتي نسب إليها. نشأ وترعرع في بيت علم وجاه، فجدّه الأكبر من أبيه هو الرحالة الأديب سيدي الحسين الورثلاني، المشهور برحلته المعروفة ب رحلة الورثلاني*.

حفظ القرآن في مسقط رأسه، وأتمه وهو طفل، ثم انتقل إلى مزاولة الدراسة النظامية بالقرية نفسها، أين تلقى مبادئ العلم والمعرفة على يد والده و علماء أجلاء.

وفي عام 1930 انتقل إلى مدينة قسنطينة،حاضرة العلم والعلماء، لإتمام تعليمه الثانوي في مدرسة الإمام عبد الحميد بن باديس ،ونظرا لاجتهاده فقد تولى التدريس بداية من الموسم 1933/1934 بمنصب أستاذ مساعد لابن باديس ،والتي تحولت فيما بعد إلى مدرسة التربية والتعليم.

صاحب ابن باديس في رحلاته المتعددة داخل الوطن،مما سمح له الظفر بكثير من المحامد التي تحلى بها الشيخ،فقويت ملكته،وتصلبت عزيمته،وكان خطيبا مفوها، كما برع في النقد .

وفي 1936 انتُدب ممثلا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا من أجل الجالية الجزائرية،ومن أجل إسماع صوت الجزائر العربية المسلمة للعالمين الشرقي الإسلامي العربي،و الغربي الأوروبي على حد سواء أقام في باريس، وبدأ نشاطه المكثف بهمة عالية، واتصل بالعمال والطلبة الجزائريين بفرنسا، وأخذ في إنشاء النوادي لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي ومحاربة الرذيلة والانحلال في أوساط المسلمين المقيمين بفرنسا، واستطاع خلال عامين أن يفتح كثيرا من النوادي الثقافية في باريس وضواحيها وبعض المدن الفرنسية الأخرى وقد مكث أربع سنوات في العمل المتواصل، والنشاط الفاعل الذي مكّنه من فتح عدة مراكز للدعوة الاسلامية،فاستقطبت الآلاف من أفراد الجاليات العربية الإسلامية المقيمة في ربوع فرنسا.

في أواخر 1938 اشتدت مضايقات الإدارة الاستعمارية له ،وسعت لاعتقاله واغتياله ،كما أشيع⁽⁶⁾ ، فغادر باريس خفية بمساعدة المصلح أمير البيان شكيب أرسلان* عام 1940 تجاه مصر،وعن هذه المغادرة فإن الأستاذ أبو القاسم سعد الله يراها غامضة،بل يميل إلى أن هذه النقلة كانت بتوجيه من حركة الإخوان المسلمين الباحثين عن القيادات الشابة والفعالة في العالم الإسلامي.⁽⁷⁾

التحق بالجامع الأزهر،وواصل دراسته بكلية أصول الدين والشريعة الإسلامية، وفيها تحصل على الشهادة العالمية بكلية أصول الدين وهي أعلى شهادة كانت تمنحها الجامعة آنذاك.

وبعد هذه المسيرة انتقل إلى النشاط السياسي ومجال الدعوة حيث أسس سنة1949 مكتبا بالقاهرة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتى يُسمع صوت الجزائر من الدول العربية الشقيقة ،وقد أسس عدة لجان وجمعيات تتمثل فيما يلي:

. اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر المؤسسة بالقاهرة عام 1942.

. جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، والتي تأسست عام 1944.

. جبهة تحرير الجزائر التي أنشئت ببلبنان متزامنة مع انطلاق ثورة التحرير الكبرى عام 1954.⁽⁸⁾

لم يكتف الورثاني بتنوع نشاطه الذي شمل التعامل مع الجامعة العربية الجديدة (1945)، ونشاط جمعية الشبان المسلمين وحركة الإخوان وإنما صعد سلم الزعامة كخطيب شجاع ومتحدث مؤثر وسياسي داهية فأرسله الإخوان في مهمة حساسة وخطرة إلى اليمن وغيره ،وننتج عن ذلك الشروع في إصلاح الأحوال باليمن ثم حدوث

الثورة على الإمام يحيى حميد الدين، وهي الأحداث التي مهدت للثورة اليمنية سنة 1962. وعندما التحق الشيخ الإبراهيمي بالمشرق سنة 1952 نسّق مع الورثلاني ما يتعلق بالبعثات الطلابية والعلاقة مع حركة الإخوان، والنهضة الإسلامية وهي كلها أمور ما زلنا إلى الآن نعرف ظواهرها ولا نعرف بواطنها.⁽⁹⁾

ومن الطبيعي أن تثير هذه الشخصية النافذة والمؤثرة حساسية زملائه الذين التحقوا بالقاهرة هاربين من الجزائر بعد حادثة بريد وهران واكتشاف المنظمة الخاصة، مثل محمد خيضر وبن بلة و آيت أحمد، وإن تتقاطع أحيانا مع نشاط الشاذلي المكي، وأحمد بيبوض، هناك فمن الذي يُمثّل الجزائر؟ ومن له الصوت العالي والسمعة الرفيعة، ومن القادر على التأثير في جماهير الشرق وأعيان الشرق؟ ولولا الثورة المصرية وضباطها الأحرار وإعلان جمال عبد الناصر في "فلسفة الثورة" عن دوائره الثلاث لما استطاع زعيم آخر أن يززع مكانته كمتحدث باسم الجزائر وجمعية العلماء في المشرق، بل كزعيم من زعماء حركة الإخوان المسلمين.⁽¹⁰⁾

وبعد انطلاق الثورة التحريرية جندّ قلمه وشغل طاقاته بلسانه لشرح القضية الجزائرية، وكشف نوايا المستعمر الفرنسي وخبائاه بكل الوسائل والطرق حيث كان يتنقل من منطقة لأخرى، وبذلك يكون قد ساهم بقلمه ولسانه في الثورة، ووفاه أجله وهو في أنقرة عاصمة تركيا في يوم 12 مارس 1959، ودفن هناك إلى أن تم نقل وفاته إلى مكان مولده ببني ورثيلان سنة 1987 مثلما نقلت رفات الأمير عبد القادر سنة 1966.

آثاره:

ترك عدة مقالات أدبية وفكرية وسياسية، نداءات، لقاءات صحفية، وخطابات مفتوحة إلى قادة سياسيين، وديبلوماسيين عرب وأجانب، تخص القضية الجزائرية ومصير شعوب المغرب العربي الكبير، جمعت في كتاب، اختار له عنوان (الجزائر الثائرة).

تحليل كتاب "الجزائر الثائرة":

صدر في طبعته الأولى عام 1956، و عن ظروف نشره قال الفضيل الورثيلاني في التصدير الذي كتبه : (وبعد فقد طلبت مني جماعة عباد الرحمان الكرام ورائدهم المجاهد محمد عمر الدعوق أن آذن لهم في جمع طائفة من المقالات كنت نشرتها بهذه الفترة القريبة، في جرائد سوريا ولبنان، وما كانوا في حاجة إلى أن يطلبوا مني الإذن في فعل المعروف، ولكنه كرم الخلق منهم، وحسن الأدب، فأنا أشكرهم فوق الإذن لهم، وأعتذر عن هذه البضاعة المتواضعة، التي يقدمونها في كتاب إلى الناس، لأنها مطبوخة على عجل وللاستهلاك الوقتي، راجيا أن تؤدي عني وعنهم بعض الواجب إن شاء الله).⁽¹¹⁾

أما الطبعة الثانية فقد كانت سنة 1963 بلبان ،و أرفقت الطبعة الثالثة من الكتاب بمقدمة مطولة للأستاذ محمد الصالح الصديق سنة 1991 وهي ضمن الطبعة الرابعة أيضا، استهلها محمد الصالح بواجب المثقف تجاه من سبقوه من الرجال الذين صنعوا وساهموا في صناعة جزء من ثقافة وذاكرة الأمة، بالوقوف عند إنجازاتهم والتتويه بأعمالهم بالذكر الحسن، وتقديمهم للناشئة في الصورة التي يستحقونها.

وقد عرّج على أبرز محطات حياة الورثلاني ، بداية من الولادة والنشأة مرورا بمختلف المراحل التي قطعها وتضحياته من أجل القضية الجزائرية،حيث كانت مشقة المهمة التي كُلف بها،ألا وهي نشر الوعي القومي الوطني والديني في نفوس الجاليات العربية والإسلامية كلما حط به الحال في قطر من الأقطار العربية والغربية.

وكما هو معروف عن الأستاذ محمد الصالح الصديق،فقد تميزت كلمته المصدرة للكتاب بقيمتها الأدبية والجمالية في كشف النقاب عن هذه الشخصية الإصلاحية الوطنية الفذة، وإعطائها المكانة التي يجب أن تُعطى لها من خلال التعرض إلى مختلف مراحل حياته الموسومة بالحيوية والنشاط لنشر رسالة العلم والتتوير، وإسماع صوت الجزائر الحرة، وكذا الشعوب المغاربية والعربية والإسلامية إلى مختلف دوائر القرار السياسي في العالم، مناقلا ومحاورا، ومحللا،وخطيبا ، لا يعرف الخمول إلى نفسه طريقا إلى أن اشتد عليه المرض ولقي ربه.

أما الكلمة الختامية فكانت للأستاذ رفيق سنو⁽¹²⁾ تحت عنوان كلمة عباد الرحمان ، و فيها حديث عن علاقته الخاصة بالورثلاني، فقد كان أعرف الناس به . حسب . إذ لازمه طيلة خمس سنوات، وهذه الكلمة غطت كامل مراحل حياته، وشملت:

كيف عرفت الورثلاني؟. الورثلاني في البحار. الورثلاني في بيروت . الصحبة، تأثيره على الطبقات ووقاؤه لوطنه . إهماله لصحته . تضحياته و تضحيته للفرص . نموذج من أسفاره إلى أوربا،وقاؤه لإخوانه وتلاميذته، في أسفاره . والكتاب حاليا في طبعته الرابعة حيث صدرت بالجزائر،عن دار الهدى بعين مليلة ضمن 512 صفحة وهي طبعة مزيدة ومنقحة ومدعمة بالصور،وقد قدّم لها الدكتور حسان الجيلالي.

يُجيبنا هذا المصنف على عدة أسئلة ، فهو يضم وثائق هامة من الناحية التاريخية تبدأ من ميلاد "جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا" إلى ظهور الكتاب نفسه سنة 1956، مرورا بأحداث الثورة المصرية والجزائرية. كان اسم الفضيل الورثلاني يظهر إلى جانب اسم البشير الإبراهيمي في الوثائق الصادرة عن مكتب جمعية العلماء والمتعلقة بتبني الثورة ودعمها شعبيا ،ودعوة العالم العربي الإسلامي إلى مسانبتها ،كما كان اسمه يظهر في المراسلات كالبريقيات والرسائل التي تصدر عن مكتب الجمعية بالقاهرة.وإذا كان الشيخ الإبراهيمي قد جاء إلى مصر عندئذ على كبر وعلى مرض فإن الورثلاني وجد في الإبراهيمي مفتاحا يدير به سياسة الجمعية في المشرق مع المنظمات والشخصيات والحكومات.⁽¹³⁾

يتضمن المؤلف جملة من الموضوعات معنونة بعناوين مختلفة مستوحاة من مضامين المسائل التي طرقتها الورثياني، وما نلاحظه أنها غير مرتبة، لأن الاهتمام -كما يبدو- أكثر بعملية جمع آثاره المتفرقة في مختلف الصحف والمجلات العربية قصد حفظها من التلف والنسيان، ولم يخضع ترتيبها لأصول التتويب المعروفة في إخراج الكتب للطبع.

مقالات الورثياني، نضال، ومادة علمية للمؤرخ:

تميزت مقالات الورثياني بالخط الوطني الذي رسمه لنفسه منذ أن غادر الجزائر إلى فرنسا ومنها إلى دول عديدة عربية وغربية، رافعا في نواديها السياسية والثقافية صوت الجزائر عاليا، مُنددا بجرائم الاستعمار، وداعيا الشعوب العربية والإسلامية إلى التحرر، ومقاومة العبودية والاستغلال بجميع أشكاله وصوره.

بعد التصدير نقرأ مقالا ينم عن طبيعة الجزائري الراضة للعدوان بعنوان "الجزائر تجاهد منذ خمسة قرون"⁽¹⁴⁾؛ وفيه عرض لتاريخ الجزائر ومقاومتها للحملات العديدة التي تعرضت لها ابتداء من الإسبان، فالانجليز، فالبرتغال إلى الفرنسيين في العصر الحديث، وفي كل ذلك يبرز صور النضال والمقاومة الشعبية التي أبدتها الأمة الجزائرية الراضة للدخيل والمستमितة تمسكا بأصولها وجذورها الدينية والثقافية، و من هذه المقاومات:

الأمير عيد القادر الجزائري، المقراني و الحداد، الانتفاضة الشعبية العميقة بما يسمى أحداث الثامن 1945، وانتهاء بثورة الفاتح نوفمبر المجيدة، وقال: "نقصينا الثورات التي يقوم بها الوطنيون في وجه الاستعمار فأرناها ثورات يدفع إليها إباية للضيم، والاعتزاز بالنفس والغيرة على الحقوق من عرض ومال ودين"⁽¹⁵⁾.

ويعرض مقالا آخر يحمل سؤال استنكاريا: "لماذا يستमित الجزائريون بنضالهم؟"، فيجيب بأن الإصلاحات التي جاءت عقب الحرب العالمية الأولى حيث ذهب آلاف الجزائريين ضحية، تلك الإصلاحات التي جاءت طبق الأصل لقانون الأهالي.⁽¹⁶⁾ فهو يريد أن يقول بأن المستعمر ملته واحدة ولم يقدم أي إصلاحات، فليس غريبا أن يبقى الجزائري مستميتا في النضال.

التاريخ لسياسة فرنسا في الجزائر :

نجد في الكتاب عدة مقالات تؤرخ للسياسة الفرنسية في الجزائر، وتحت عنوان "فرنسا تحارب الإسلام علنا في الجزائر"⁽¹⁷⁾، كتب الورثياني في جريدة بيروت المساء، وكذا المنار الدمشقية يميظ اللثام عن السياسة الاستدمارية المنتهجة من قبل فرنسا لطمس الشخصية الوطنية الجزائرية، وفشلها في محاولة يائسة لفرنسة الشعب الجزائري، هذا الشعب الذي رفع التحدي، وتشبث بقيمه الوطنية والدينية، حتى استطاع بفضل العمل الدءوب الذي تحمّل عبئه ثلة من المصلحين أن يتغلغل في العمق الفرنسي بما أتيح له من إمكانية الحوار الهادئ الرصين، والقناعة التامة بحقه المشروع في نيل الاستقلال، ومثل هاته المقالات الكثير حيث اتّسمت في عمومها بالجرأة في الطرح،

والحنكة في معالجة الأمور الحساسة، والسمو بالخطاب إلى مستوى النضج السياسي والعمق الفكري، الذي تتصف بها كتابات الورثاني دون إهمال للجانب الفني؛ فقد أظهر في ضوءه مقدرة فائقة على بلورة القضايا التي يتبناها

الورثاني و كبار المسؤولين العالميين:

يتضمن كتاب "الجزائر الثائرة" مقابلات صحفية ومراسلات متنوعة للسفراء من عرب وغيرهم، وأخرى موجهة لرؤساء دول وحكومات ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

-خطابات مفتوحة من الورثاني إلى سفير فرنسا في القاهرة⁽¹⁸⁾، ومضمونها حول غطرسة الفرنسيين في شمال إفريقيا، وحول اعتقال عشرات الألوف من المجاهدين...

-إلى رئيس المجلس الاستشاري الفرنسي. ⁽¹⁹⁾

. إلى رئيس الجمهورية السورية الحرة المستقلة. ⁽²⁰⁾

. إلى جلالة سلطان مراكش مولاي محمد بن يوسف. ⁽²¹⁾

وهناك مراسلات كثيرة ضمن الكتاب، وما نراه تلك الشجاعة في إبلاغ صوته وصوت الجزائر، فلم يتردد في تدوين كتاب مفتوح منه شخصيا إلى رئيس حكومة فرنسا (جي مولي)⁽²²⁾؛ وفيها يعرض مطالب الجزائريين ويقول: "أن الجزائر لا ترض بغير الاستقلال". ⁽²³⁾

كما دافع في العديد من المقالات عن المجاهدين والثوار الجزائريين الذين شهروا السلاح في وجه الطغمة العسكرية الغاشمة المدججة بأحدث ما صنعتته معامل الحربية آنذاك، ووصفهم بالشجعان الأبطال الذين آثروا الشهادة على الحياة تحت نير الذل والهوان.

لغة وأسلوب الورثاني:

إن أسلوب الورثاني يتميز بلغة عربية فصيحة وجزلة ، وبأسلوب رائع، تتدفق منه الكلمات القوية والساحرة، والقارئ يشعر بمتعة المتابعة وعدم الشعور بالملل، دون أن يُنسينا جمال الأسلوب بقضايا الوطن خاصة، وترجع هذه الملكة إلى إتقانه فن القول والخطاب، واعتماده الحجج القاطعة التي تستند على إمام شامل بالمسائل المطروحة، التي كان على علم بخباياها.

ففي خطابه وبرقيات الموجهة إلى بعض قادة الدول ، وسفرائها، ورجال الفكر في أنحاء العالم تتجلى ظاهرة الإلمام بحديثيات ما يجري في العالم من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية، كحديثه عن طرابلس الغرب ⁽²⁴⁾ وفلسطين ⁽²⁵⁾ ولبنان ⁽²⁶⁾ وهي الظاهرة التي تجمع بين أدبية السياسي المحنك ، وسياسة الأديب المستوعب لهذه المشكلات بروح تمتزج فيها ممارسة الفعل السياسي بالحس الأدبي الرفيع.

الورثاني مثار اهتمام الصحفيين:

نظرا لمكانة وأهمية هاته الشخصية فقد حظي بعدة لقاءات صحفية تطرق فيها لقضايا بلاده ،والصحافة- المسماة بالسلطة الرابعة- بدورها تنشر ما كان يدلي به ،ومن ذلك:

الحديث عن جمعية العلماء ،حيث كتب في جريدة بيروت المساء والمنار الدمشقية تحت عنوان:(جمعية العلماء الجزائريين باعثة الأمة الجزائرية والمغرب العربي وهادمة الاستعمار) .

وقد أشار إلى أن "أولئك العلماء الأحرار قبل تأسيس الجمعية لم يجمعهم زمان و لا مكان ولا حزب ولا هيئة،ولا ناد من الأندية ،فضلا عن برنامج مسطر معلوم .وإنما جمعتهم فكرة مُشرقة ،وعقيدة حارة ،وآلام مشتركة ،ذلك وحده هو الذي أقتنع كل واحد منهم على انفراد ،بوجوب السعي لإصلاح حال الأمة الجزائرية العريقة،لأن كل واحد منهم شعر شعورا عميقا،بالذي ساقه إليها الاستعمار من محن،وما أنزله عليها من ضربات ،وما كان ينتويه لها من غدر وإفناء.ظهرت علائم تلك النية ،وظلائعها واضحة ...وكان هذا الوحش الضري الذي نسميه الاستعمار ،يعتمد في اقتراسه للأمة الجزائرية على سلاحين أساسيين ،ما وجد على وجه الأرض حتى الآن أخبث منهما،الأول التجهيل ،..."(27)

وفي أحد الحوارات دار حول قضايا التحرر في المغرب العربي الكبير ، إذ نلاحظ من خلاله أن الورثاني كان يسعى إلى توحيد دول المغرب العربي الكبير،فطرح عليه التساؤل التالي:هل يمكن في المستقبل لأن تتوحد أقطار المغرب العربي في دولة واحدة متحدة؟وما هي العقبات التي يحتمل لأن تعترض هذا الإتحاد؟ ، ويجيب قائلا:(إن اتحاد أقطار المغرب العربي في دولة واحدة أو متحدة، ليس أمرا ممكنا فحسب، بل هو الواجب المقدس الذي يسعى إليه كل مواطن حر صادق...أما عن العقبات ،فإن العقبة الوحيدة التي يمكن أن تُعرقل هذه الوحدة أو هذا الإتحاد،فهي الاستعمار الفرنسي فقط)⁽²⁸⁾، مُبررا نيته بتوفر أهم الروابط بين أبناء المغرب العربي وهي رابطة الجنس ، رابطة الدين،رابطة المذهب،رابطة اللغة، ورابطة الآمال المشتركة في إجلاء الأجنبي عن المغرب العربي الكبير.

ومن ضمن مجموعة خطابات مفتوحة موجهة إلى سفير فرنسا في القاهرة ،تلك التي عُنيت باعتقال عشرات الألوف من المجاهدين خلال الحرب العالمية الثانية ،بقوله:"...عشرات الألوف من خيرة شبابنا الطاهر البريء الذين ذهبوا ضحية الحقد... ،والذين اخترتموهم لإظهار قدرة أسلحتكم على الفتك والتفوق بعدما عجزت عن رد عادية المساوين لكم المسلحين النازيين،ويا ليتها كانت أسلحتكم بل كانت أسلحة الإغارة والتأجير من الحلفاء المحررين..."(29)

وعن الثورة التحريرية ومد أيامها الأولى خاطب الورثاني الثوار عبر الجرائد المصرية وغير المصرية ، ونشرت في حينها ؛ففي الثالث من نوفمبر 1954 أي في اليوم الثالث للثورة كتب ما عنوانه:"إلى الثائرين الأبطال من أبناء

الجزائر اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء"، وبدا بنداؤه (حياكم الله أيها الثائرون الأبطال، وبارك في جهادكم، وأمدمكم بنصره وتوفيقيه، وكتب ميّتمكم في الشهداء الأبرار، وحيّكم في عباده الأحرار...)"⁽³⁰⁾

إن هذا الخطاب هو خطاب دعائي للثورة، وإن كانت الدعاية تعنى التدليس والتزييف فإنها بالنسبة لهكذا قضايا فإنها تعمل عمل الدبلوماسية في إسماع العالم ما يحدث في الجزائر، وقد عمل كل يحيي بوعزيز⁽³¹⁾ واحمد توفيق المدني⁽³²⁾ على نشر مؤلّفين للغرض نفسه؛ أي الدعاية للثورة بكتب تاريخية .

الخاتمة:

إن محاولتنا إبراز بعض المواضيع التي وردت في كتاب (الجزائر الثائرة) ليس كتابا في التاريخ أو عن التاريخ (رغم ما فيه من إشارات تاريخية) ولكنه كتاب يحتوي على مادة أساسية للمؤرخ وهي الوثائق، ولا غنى عنه عند كتابة تاريخ الجزائر المعاصر والثورة بالخصوص⁽³³⁾ وتاريخ المغرب العربي في المشرق.

حقيقة أن الجزائر قد شغلها مكافحة الأعداء عن كتابة التاريخ، غير أن أمثال الورثلاني ممن كتب موجودون وإنما إمطة اللثام على موضوع الحياة الثقافية في الجزائر المستعمرة كفيل بإبراز الكثير، ومن هذا المقام فإننا نؤوه بالجهود التي بذلها مؤرخ الجزائر الأستاذ أبو القاسم سعد الله بموسوعته "تاريخ الجزائر الثقافي" حيث ابتعد عن المواضيع السياسية والعسكرية ليُلجّ في موضوع الحياة الثقافية للإنسان الجزائري رغم قهر الاستعمار وتقييده للحريات. يمثل هذه الكتب، وبالاعتماد على ما دوّنه من عاصر الثورة يمكن لنا أن نوصل لكتابة تاريخ الثورة بخلة أكاديمية مادتها الأساسية مأخوذة ممن صنع الحدث أو كان قريبا منه أو شاهده، ومنهجها تحليل وتنسيق ونقد ومقارنة تلك المادة من طرف الباحثين الماخصين.

الإحالات:

(1)- أَلّف كتاب: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 2ج، المطبعة الاسلامية الجزائرية بقسنطينة، الجزائر، ط1، 1347هـ/1928.

(2)- له عدة مؤلفات هي:

تقوم المنصور، السنة الخامسة 1348/1929، [دن]، [دت]

-حياة كفاح، مذكرات، 3 أقسام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر [دت].

-قرطاجنة في أربعة عصور، تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، نشر إدارة النديم، تونس، [دت].

-كتاب الجزائر، نشر دار الكتاب، البليلة، الجزائر، ط2، طبق الأصل 1382/1963

-محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده . المؤسسة الوطنية -

للكتاب، الجزائر، 1986

-مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1168-1246هـ/1754-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2-

- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، مصر، [دت].

(3)- أَلْف كتاب:تاريخ الزواوة

(4)- له :تاريخ الجزائر العام، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1378هـ/1953م، ثم توسع هذا الكتاب، حتى أصبح وكأنه كتاب جديد، وهو في طبعته الثامنة.

* عن موضوع بعض المؤرخين الجزائريين يرجع ل:

- Ben cheneb (Saadeddine)/quelques historiens arabes modernes de l'Algérie /in/ Revue Africaine, Journal des travaux de la société historique algérienne, Alger, Vol100 , 1956.

(5)- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415 ط1، / 1995، ص 180 .

* عن ذلك ينظر، فيلالي مختار بن الطاهر، رحلة الورتلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، [د ت].

(6)- نفسه، ص 183.

* أرسلان، شكيب (1286 - 1366 هـ ، 1869 - 1946 م)، الأمير شكيب حمود حسن بن أرسلان، سياسي لبناني، شاعر وكاتب ومفكر وعالم موسوعي المعرفة. وُلد في الشويفات ببلدان، وتعلم في مدرستي الحكمة والسلطانية ببيروت. وأتقن، إلى جانب لغته العربية ثلاث لغات أجنبية، وهي: التركية، والفرنسية، والألمانية. وأخذ العلم عن عدة شيوخ، منهم: عبدالله البستاني صاحب المعجم اللغوي البستان، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني. وقرأ لأعلام الكتاب في النثر العربي ممن صَفُّوا بيانه حتى لُقِّب أمير البيان، وحامل لواء الصناعتين.

(7)- أبو القاسم سعد الله،- تاريخ الجزائر الثقافي، 10 ج، دار البصائر، الجزائر 2007 ، ج 10 ص 565.

(8)- عن ذلك ينظر ،الفضيل الورتلاني،الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص ص 41،42.

(9)- سعد الله، المصدر السابق، ص 566 .

(10)- نفسه، ص 567 .

(11)- الورتلاني، المصدر السابق، ص 50 .

(12)- نفسه، ص 456.

(13)- سعد الله، المصدر السابق.

(14)- الورتلاني، المصدر السابق، ص 51.

(15)- نفسه، ص 284.

(16)- نفسه، ص 55.

(17)- نفسه، ص 101.

(18)- نفسه، ص 288 وما بعدها.

- (19)- نفسه، ص 342.
- (20)- نفسه، ص 346 .
- (21)- نفسه، ص 221.
- (22)- نفسه، ص 161.
- (23)- نفسه، ص 164 .
- (24)- نفسه، ص 300.
- (25)- نفسه، ص 335.
- (26)- نفسه، ص 443 .
- (27)- نفسه، ص 139 .
- (28)- نفسه، ص 57 .
- (29)- نفسه، ص 235 .
- (30)- نفسه، ص 170 .
- (31)- أصدر سنة 1957 كتاب، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، سيرته الذاتية وجهاده، ابن خلدون للنشر التوزيع، تلمسان، الجزائر . 2002،
- (32)- أصدر سنة 1957 ،كتاب، هذه هي الجزائر ،المصدر السابق.
- (33)- سعد الله، المصدر السابق، 568 .